مَرْثِيَةُ غُصْنِ الزَّيْتُونِ !

مهداة إلى عصبة الأمم بجنيف

لشاعر الريف

محمود حسن اسماعيل

الطالب بدار العلوم

لا زَهْرُه يَنْدَى ، ولا هو يَنْفَحُ ... ذاوٍ على طَرَفِ الصبا مُتَصَوِّحُ
رَيَّانُ أمْيَسُ هَدَّلَتْ أطرافَهُ ... هوْجاءُ من نار المطامع تَلْفَحُ
فَرْعٌ من الزَّيتون لم يَخْفُقْ له ... فَنَنٌ ، ولم يَسْجَعْ عليه صَيْدَحُ
أنداؤُه من حكمةٍ أبَدِيَّةٍ ... صَمَتَتْ فما تَلْغُو ولا تَتَفَصَّحُ
وغذاؤه من رحمةٍ عُلْوِيَّةٍ ... يضفو بها طيْف هناك مُجَنَّحُ
تخِذَ السَّلامَ قصيدةً قُدْسِيَّةً ... يَشْدُو بها شادى السَّلام ويَصْدحُ
لو رَنَّ هاتفُها بأذنِ كتيبةٍ ... رَبْداءَ فى رهَجِ اللَّظَى تَتَرَجَّحُ
سجدَتْ له الألياف خَجْلَى رهبةً ... وتكَفَّأتْ فوق الثَّرى تتطوَّحُ !

* * *

يا سَرْحَةً بِرُواقِ جِنيفَ ، ارتَوَتْ ... من طاهرٍ بدم الضحايا ينضَحُ
نبع من الأرواح سَلْسَلَ فيضَهُ ... وجرى على بطحائها يتفوَّحُ
يَنْسابُ من خَلَلِ الجماجم صاخباً ... أمْواجُهُ من كل عِرْقٍ تطفَحُ . . .
ماذا دهاكِ فلم يَدَعْ سوْسانَةً ... من هَوْله فى جانبيكِ تُفَتَّحُ ؟
صَوْتٌ من الطلْيانِ أرْوَعُ غاشمٌ ... مُتَحَفِّزٌ بين الورَى يَتَبَجَّحُ
خَدَعَتْهُ صامتةُ القنابل حينما ... ذهبَتْ تُهَدِّدُ بالرَّدى وتُلَوِّحُ
مَجْنونَةً بالموتِ ، جُنَّ حَدِيدُها ... ومُرِيدُها خطراً يَروعُ ويَفْدَحُ

رَعْنَاءُ لو مَسَّتْ مطارفَ شاهقٍ لانْدَكَّ من عالى الذُّرا يتطرَّحُ
سَكْرَى بخمر الموت تهذى جهرةً بملاحنٍ من كِبْرها تَتَوَقَّحُ
خَرْساءُ لو نطقتْ أصمَّ ضَجِيجُها أُذُنَ الحياة ، فلا تَعى ما تُفْصِحُ
حُبْلَى بنَسْل النار ، يا وَيْلاهُ ! إنْ وَلَدَتْ فَحَتْف للبَرِيَّةِ يَكْسَحُ !
كم أفزعتْ «عِزْرِيلَ» حين تَبَرَّجَتْ تلهو على جُثَث العباد وتَمْرَحُ

* * *

سَلْ أُمَّةَ الأحباش . . كيف تَفَزَّعت وغَدَتْ على قُضُب القَنا تترنَّحُ
لم تُغنِها الأجبالُ تعصِمُ هارباً أو شاكياً تحت المغافِرِ يرزَحُ
خَيْماتُها فى الحرب لو أبصَرتَها شُعَلاً على كنف الهواضب تلمَحُ
هى ألْسُن للحقِّ ذاع بيانُها ضَرْماً عن الوَجْد المكَتَّم يُفْصِحُ ؟
يا رُبَّ مُسْوَدِّ الجبين بظلِّها قَسَماتُهُ عند الوغَى تتوضَّحُ
يُوحيه إيمانُ العزائم بَهْرَةً فيظلُّ من هالاتها يَتَرَوَّحُ
يَلْقَى الطُّغَاةَ بعَزْمةٍ لو صادفتْ قلبَ الحديد لخرَّ بالدَّم يَرْشَحُ !

* * *

يا عاهلَ الرُّوم العنيد تحيَّةً من شاعرٍ باللَّوْم جاءك يَصْدَحُ
أنغامُهُ فى النِّيل ضيَّعها الأسَى وهى التى بهوى البلاد تُسَبِّحُ
عُذْرِيَّةً تشدو ، فإن هى أقبلتْ تأسو يُرَاوِغُها الشَّمَاتُ فيَجْرَحُ !
صرختْ على حُرِّيَّةٍ مسلوبَةٍ شُعراؤها فى كلِّ فَجٍّ نُوَّحُ . . .
ما ضَرَّ لو أمهلتَ طائشةَ الوغَى قوماً تعادَوْا بالشَّكاة وروَّحُوا ؟
أوطانُهم ! يا رحمتا لمصيرها ! أمَل لسُفَّاكِ الطُّغَاةِ ومَطْمَحُ
فزِعوا من الغازات تخْنُقُ جَوَّهم فيضوعُ بالموتِ الأصمِّ وينفَحُ !
اللهُ طهَّره هواءً طيِّباً كالرَّوْض ضمَّخه العبير الأفْيَحُ
وابن التُّراب أرادَه مسمومةً نكباءُ ذارِيةً تبيد وتقرَحُ !